فدوى طوقان :
ثلاث خطوات الى الينبوع

فوزى كريم

(١)

فدوى طوقان شاعرة رومانسية ، في مرحلة زمنية لا قدرة لها على مجرد احتمال تكرار هذه الكلمة . ورومانسيتها غير مدرسية ، بهذا المعنى ، لانها مجردة عن أهم ما تمتاز به تلك ، وهو ارتباطها بمرحلة ذات توسين زمنيين . من هنا نستطيع ان ننسحب دون تردد الى نقطة أجدها هامة ، وهي : المراة في فدوى طوقان ، والمراة العربية بشكل خاص . فالرومانسية ، حين تتجرد من دوافعها الزمنية العامة ، انما تستحيل الى حالة هامشية شبه مرضية، ذات سمة ذاتية فضفاضة.ولعل من الواضح ان شعرنا العربي، في شريحته النسائية المنزوية ، دون استثناء ، انما تعتبر تلك السمة من أبرز سماته . هل تعتبر الرومانسية — والاستعمال لهذه المفردة سيظل مجازيا — في هذه الحالة شركا ؟ وهل يعتبر هذا التحرك النسائي — شعريا — منزلقا عن حافة الطريق التي تشكل معالمها الواضحة قاعدة عامة ؟ لا شك اننا سنقع في خطأ فادح اذا ما فصلنا ، بنية رسم القاعدة، بين قصيدة المراة العربية وبين المراة ذاتها . فالشاعرة العربية لم تنزلق الى مجرى الرومانسية هذا ، ولم تقع فيه سهوا او خطأ . ولكنها ، شأنها شأن المراة العربية ، خاضعة ، بحكم علاقاتها المجتمعية ، والانسانية من بعد ، وبحكم علاقاتها بالرجل والعائلة ، وهي علاقات اقتصادية في الاساس ، أقول ، لكنها خاضعة لسداة شبه قدرية ، حملتها الى هذه النزعة ذات الأنا المتضخمة، وذات الهوس الى التأمل الماورائي، والحنين الى المجهول ، الى نزعة رومانسية مجردة عن دائرتها التاريخية ، ومجردة بالتالي عن جوهرها الصحي . فرومانسية الشاعرة العربية ، والمراة العربية من ورائها، سمة من سماتها ، وهاجس سلبي من هواجسها السلبية الاخرى . وهذه دالة اجتماعية قبل كل شيء . يأخذ الشعر فيها دورا سلبيا هو الآخر . لانه يقتصر على « التعبير » عن الذات ، فحسب ، والتنفيس عن انفعالات داخلية تخلفها حساسية مفرطة ، كما لو كان صماما للامان ، يفتح في اللحظة المناسبة ، لا أداة للتغيير ، وغاية في ذاتها تتشكل باعتبارها حصيلة لتجربة انسانية واسعة .

ليست هذه الدراسة متابعة عامة لمجمل الجوانب الشعرية التي أعطتها خمس مجموعات شعرية(١) لفدوى طوقان ، وليست هي دراسة فنية ونقدية ، تريد ان تحدد مجمل

---

١ — لفدوى طوقان خمس مجموعات شعرية ، صدرت جميعها عن دار الآداب — بيروت : **وحدي مع الايام** ، كانون الثاني ١٩٦٠ (طبعة خامسة) ، **وجدتها** ، ايلول ١٩٦٦ (طبعة رابعة) ، **اعطنا حبا** ، ١٩٦٠ (طبعة ثالثة) ، **امام الباب المغلق** ، آب ١٩٦٧ (طبعة اولى) ، **الليل والفرسان** ، تموز ١٩٦٩ (طبعة اولى) .